اللسانيات التطبيقية العربية بين الفردانية وغياب المنهج

د. صالح غيلوس
جامعة المسيلة

الملخص:
الكثير من الباحثين العرب والأجانب المهتمين بدراسة اللغة العربية، حرصوا على تطبيق مفاهيم ومناهج اللسانيات الغربية، بغية حل المشاكل المتعددة التي ترتبط باللغة العربية، وقد أثبتت هذه المنهجية المتبعة فاعليتها في مجالات تطبيقية كثيرة مثل تعليم اللغة الأم، وصناعة المعاجم، والترجمة، وكذا تشخيص وعلاج أمراض الكلام، وقد أصبحت محاورا أساسية تشكل مجالا علميا يتصل بالعمل الميداني(التجريبي). ومن هنا وجب أن نطرح الإشكالية: ماذا استفادت اللسانيات التطبيقية العربية من كل هذه الدراسات التطبيقية على اللغة العربية ؟

Résumé:
Beaucoup de chercheurs arabes et étrangers intéressés par l'étude de l'arabe ont appliqué les concepts et les méthodes de la linguistique occidentale pour résoudre les nombreux problèmes liés à la langue arabe, une méthodologie qui s'est révélée efficace dans de nombreux domaines tels que l' enseignement de la langue maternelle, lexicographie , la traduction, le diagnostic et le traitement. Discours maladies, elle est devenu un interlocuteur clé qui constitue un domaine scientifique lié au travail de terrain (expérimental). Par conséquent, nous devons nous poser la question suivante: Qu'est-ce que la linguistique appliquée arabe a bénéficié de toutes ces études appliquées sur la langue arabe. ؟

توطئة:
كانت الارهاصات الأولى لتأسيس اللسانيات التطبيقية باعتبارها علما جديدا، بعد الحرب العالمية مباشرة في الولايات المتحدة الأمريكية على يد فريز وروبرت Charles Freese et Robert ، وسبب ظهوره هو مشكلة تعليم اللغة للأجانب، وتحسين نوعية تعليمها، وفي سنة 1954، بدأ نجم هذا العلم بالبزوغ في سماء الدرس اللساني من خلال مجلات تهتم بتعليم اللغات، وبعد فترة وجيزة صار له شأن كبقية العلوم، ثم بدأ ينتشر شيئا فشيئا في الكثير من الجامعات العالمية لضرورته في الحياة العلمية.

وقد حدد مجالاته العالم H.H.Stran، في قوله: " أن العلوم الأساسية التي تعالج في نظرية تعليم اللغات هي اللسانيات، وعلم النفس، واللسانيات النفسية، وعلم الاجتماع، واللسانيات الاجتماعية، لتشمل الأنثروبولوجيا(علم السلالة).[1]

ونظرا للتداخل المعرفي بين هذه العلوم، فأن اللسانيات التطبيقية ترتكز على مبادئ اللسانيات النظرية، باعتبارها " علم تطبيقي يسعى لحل مشاكل قائمة على اللغة".[2] فهذه الأخيرة تستمد منها الأوصاف اللسانية. وهنا يرى كراشن Krashen ، أن العلاقة بين العلمين (النظري والتطبيقي). علاقة تكاملية، لأن اللساني الباحث يجد حقل اللسانيات التطبيقية حقلا خصبا لتجريب النظريات اللسانية.

ويسيء البعض فهم موضوعها ومجالها، فيخلطونها بالتربية وبتدريس اللغة الثانية، وهذا يعتبر تضييقا لموضوعها، أما سبو لسكي Spo Laski ، فيرى أن بعض المشتغلين في هذا المجال يتوهمون أنَّ مهمة اللسانيات التطبيقية تتجلى في التطبيق المباشر للنظريات اللسانية، خاصة في مجال التدريس اللغات، ومن خلال دراسته في هذا المجال يعترف Corder" بفشل هذا الرؤية عند تطبيقه الطريقة السمعية الشفهية".[3]

ويقترح لها تعريفين، أحدهما ضيق يرتبط بتعليم اللغة في علاقته بوصف اللسان من الجانب النظري، بينما الثاني فيتجاوز إلى الترجمة، وصناعه المعاجم، وتخطيط السياسة اللغوية، وبحوث التواصل، والتطبيقات بالأنثروبولوجيا اللغوية؛[4] ومعنى هذا أنها استعمال ما توافر لدينا عن طبيعة اللغة، من أجل تحسين كفاءة عمل علمي ما تكون اللغة العنصر الأساسي فيه.

وتمثل الوسيط بين اللسانيات النظرية وبقية العلوم، ووسع بالمر Palmer ، في ذلك ورأى أنها تسعى إلى تحقيق وتطبيق نتائج اللسانيات النظرية من خلال الآتي:

- وضع القوانين العلمية موضع الاختبار والتجريب.
- استعمال القوانين العلمية والنظريات في ميادين أخرى، قصد الإفادة منها، وتمتاز ببعض الخصائص منها:
- البرجماتية: لأنها ترتبط بالحاجة إلى تعليم اللغات، وكذلك لنهلها من نتائج النظريات اللسانية.
- الانتقائية: يختار البحث ما يراه يناسب دراسته.
- الفعالية: هذا العلم يبحث الوسائل الفعالة والطرق الناجعة.
- الدراسة التقابلية بين اللغات.[5]
- العيوب النطقية، يستثمر الباحث معطيات اللسانيات النظرية في التطبيقات الوظيفية في (الترجمة، التخطيط اللغوي، الإشهار، الاتصال...).
- مجالاتها: بعد عقد عدة مؤتمرات قام بها الاتحاد الدولي للسانيات التطبيقية ، حديد مجالاتها كالآتي:
- تعلم اللغات الأولى وتعليمها، ويعتبر هذا المجال من أهم مجالات اللسانيات التطبيقية.
- التخطيط اللغوي.
- المعجمية وصناعة المعاجم.
- المصطلحية بفرعيها النظري والتطبيقي.
-اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية.
-علاج أمراض الكلام .
- الترجمة.
- علم اللسان التقابلي.
- الحاسوبية، أنظمة الكتابة.[6]
- الدراسات اللسانية التطبيقية الغربية والعربية:

1- الدراسات الغربية التطبيقية على اللغة العربية.

اللسانيات علم جامع يسعى للكشف عن حقائق اللسان البشري، والتعرف على أسراره، فقد ظهر في الغرب ثلة من اللسانيين الذين اهتموا باللغة العربية اهتماما بالغا، ونتيجة لهذا، أنشأت المجلات المتخصصة في الدراسات اللسانية عن اللغة العربية مثل: Journal of Arabic Linguistics في عام 1978، بالإضافة إلى تأسيس جمعية اللسانيات العربية Arabic Linguistic Society عام 1988، في مدينة سولت ليك بولاية يوتاه في أمريكا. ولم تتوقف عند هذا الحد، بل بدأت حركة التأليف والنشر، فقد ألفت مجموعة من الكتب تتضمن دراسات حول قضايا لغوية عربية، قصد الكشف عن حقيقتها.

وقامت بعض المجلات الدورية بتخصيص فضاءات للدراسات اللغوية العربية، مثل مجلة: Arabica في العدد الثاني1981،و Historiographie linguistic في العدد الثاني والثالث1981، وAnthropological linguistics عام 1986، و International Journal of the Sociology of Language، في العدد 61 1986.

وفي مقال معنون بـ: "(فأتوا بسورة من مثله). للمجتمع العربي".[7] كتب اللساني الأمريكي المهتم باللغة العربية تشارلز فرجسون Charles Ferguson ، وهو "يقارن فيه بين وضع الدراسة عن اللغة العربية قبل أربعين عاما، والوضع في سنة 1988.

بيَّن العدد الكبير من المقالات والكتب التي نشرت عنها، كما يتحدث عن وضع الدراسات اللسانية العربية في الفترة المبكرة، التي يمكن وصفها بالقلة، وبأنها كانت تهتم بالجانب التاريخي من ناحية الدراسة، ثم يشير إلى بعض الخصائص العربية التي لفتت أنظار الدارسين اللسانيين. كما أشار إلى التغير اللغوي في العالم العربي، الذي ينحو نحو خلق لغة نموذجية جديدة خلافاً للوضع الذي كان قد وصفه في مقالة له سنة 1959 بعنوان الازدواجية الذي تنبأ فيه باحتمال انفصال العالم العربي لغوياً إلى ثلاث مجموعات وهي: بلاد الشام والعراق، ومصر والسودان، والمغرب العربي.

وقد احتوت هذه المجموعة على تسع مقالات تناقش ثلاثة مواضيع هي: المنظور النحوي: ويحوي خمس مقالات تناقش بعض المسائل النحوية في العربية من خلال النظرية اللسانية التركيبية، والموضوع الآخر هو منظور تحليل النص: ويحتوي على مقالين تناقش فيهما مسائل مثل ظاهرة الشفوية، وتحليل اختفاء حركات الإعراب تاريخياً في نص يعود إلى نصوص مسيحية من جنوب فلسطين، والموضوع الثالث، هو المنظور اللغوي النفسي ويناقش فيه ذاكرة ثنائي اللغة، وكذلك ظاهرة سبق اللسان. وكما هو واضح فإن هذه المجموعة تغطي نواحي مهمة، من حيث وصف اللغة العربية لذاتها واتخاذها سبيلاً لمناقشة بعض المسائل النظرية العامة.

أما المجموعة الثانية فقد حررت أبحاثها (مشيرة عيد)، وجون مكارثي John McCarthy، طرقتها من ثلاث جوانب وهي :(المستوى الصوتي، والصرفي، والدلالي، والاجتماعي). ويقدمان لهذه المجموعة، بأن أحيانا تحدث " بعض الحقائق في لغة معينة أو عائلة لغوية ما، تتعدى الاهتمامات الضيقة (عن هذه اللغة أو العائلة اللغوية) وتدخل في الضمير الجمعي للمنظرين اللسانيين بعامة. وتصبح هذه الحقائق عندئذٍ جزءاً مما يسمى (بالحالات الكلاسيكية). التي يجب على التنظير اللاحق أن يأخذها في الحسبان منذ البدء.

وهذه الحالات قليلة ونادرة، ولذلك فإنه من اللافت للنظر أن تسهم لغة واحدة بحالتين كلاسيكيتين في مجال نظري واحد، وعلى الرغم من ذلك فإن ذلك ما حدث فيما يخص الصرف العربي، والحالتان الكلاسيكيتان اللتان أسهم الصرف العربي بهما في التنظير الصرفي اللساني، ما أسهم به مايكل بريم Michael Prem من تدليل على ما يسمى" الدورة التحويلية " Transformational cycle. والحالة الأخرى، هي أن الصرف العربي قدم دليلاً على ما أصبح يسمى بالنظرية الصوتية غير الخطية.[8]

2- الدراسات اللسانية التطبيقية العربية: وسنأخذ بعض الدراسات لباحثين جادين أسهموا بمجهوداتهم في ترقية علم اللغة التطبيقي في الوطن العربي، ومن بينهم ما يلي:

1- الدكتور: عبده الراجحي: يقع الكتاب في 130 صفحة، وقد قسمه إلى سبعة فصول، فخصص الفصل الأول والثاني لعلم اللغة التطبيقي وإشكالاته، ومصادره العلمية، أما في الفصول الثلاثة الموالية، تناول فيها أهم

القضايا، كـ: المقارنة الداخلية، والتحليل التقابلي، وتحليل الأخطاء، واختيار المحتوى وتنظيمه، وفي الفصلين الأخيرين، تحدث عن تعليم اللغة لأبنائها وللأجانب على ضوء ما قدمه في الفصول النظرية.[9]

وخلص في النهاية إلى أن تعليم اللغة العربية في الحقيقة، يرتبط بصورة وثيقة بتقنية عرض المادة التعليمية، ومدى تنمية كفاءة المتعلمين اللغوية في ما أعده المعلم من أهداف، وما توافر له من وسائل تقديم المادة العلمية بصورة هادفة، وهذه الغاية تتحقق بما يلي:

- إدراك الاصوات اللغوية والحروف.
- إدراك الكلمات.
- الفهم والتطبيق.
- انتقاء المحتوى المناسب للمتعلم.
- انتقاء البنيه اللسانية.
- إتقان القراءة والكتابة، والتوصل الشفوي والكتابي.

وقد فصل عبده الراجحي في حديثه عن التمرين اللغوي، حيث يعتبره مصنعا من مصانع التوليد التناسلي في عملية التعلم، ويكون مشافهة أو كتابة، وهذه التمارين ممنهجة ونظامية systématique، في هيكل لساني متناسق، تؤدي وظيفة تسهيل كل تمرين ممكنن mécanisé، في تعلم لغة أو لغات حية.

وفيه يستعمل المتعلم اللغة وينوع الأساليب التعبيرية، كما يلتمس تعدد الاساليب التي تندرج ضمنها المهارات اللغوية.

يقول عبده الراجحي في مقدمة الكتاب، " شهد علم اللغة التطبيقي في السنوات الأخيرة إضافات علمية جوهرية، فتحت آفاقًا كثيرة في تعليم اللغات، كان من الواجب أن أشير إلى بعضها في هذه الطبعة، غير أني آثرت أن يظل الكتاب على الصورة التي صدر بها، شاهدًا على ما ابتغيناه، وشاهدًا على «التقاعس» الذي لا نزال ننعم فيه.[10]

2- دراسة أحمد مصطفى أبو الخير: في كتابه علم اللغة التطبيقي (بحوث ودراسات) .

قام بتأليف كتاب في علم اللغة التطبيقي وسمه بـ: علم اللغة التطبيقي، وقسمه إلى بابين: ففي الباب الأول تعرض الباحث أحمد مصطفى أبو الخير إلى علم اللغة، باعتباره الدراسة اللغوية النظرية وعلاقاتها بعلوم أخرى، كعلم النفس، وعلم الاجتماع، الجغرافيا والتاريخ...، وتحدث عن مجالات تطبيقه من خلال تعليمية اللغة الأم واللغة الأجنبية، وصناعة المعاجم، خاصة الثنائية والثلاثية، التي تتضمن لغتين أو أكثر، وأمراض الكلام.[11]

بينما في الباب الثاني فتناول مجالات أخرى ارتأى أن تكون فيه وهي :علم اللغة التقابلي وتحليل الأخطاء وليس القصد الأخطاء بعينها، بل هي دراسة ترصد الأخطاء لمعرفة الأسباب والعلاج.

وجاءت خطة الكتاب على المنوال التالي: حيث قدمه بمدخل عام تطرق فيه إلى الثنائية اللغوية محددا أسبابها، وعواملها، ثم عرض مفهوما جديدا للصحة اللغوية، و ركز أيضا على عنصرين هامين في دراسته هذه هما: (الاتقان المتوقع، والموقف التعليمي)، ومستعرضا نقطة الالتقاء بينهما، دون أن ينسى ماهية الفصحى المعاصرة، وأنهى عمله بخاتمة استعرض فيها أهم النتائج المتواصل إليها، والتي نتجت عن تجربة تحليلية للمادة اللغوية.[12]

دراسة ميشال ميشال زكريا : في كتابه قضايا ألسنية تطبيقية.

يعتبر هذ الكتاب إسهاما نظريا وتطبيقيا جديدا في الألسنية العربية الحديثة، أكد فيه الباحث على المنهج الألسني، الذي يمكن تطبيقه ليس فقط على الإنتاج المعاصر والحديث، بل كذلك على التراث العربي القديم، ففيه يلتفت إلى التراث العربي ليستنطقه في محاولة جادة لربط الماضي بالحاضر العربي، وليثبت أن الفكر اللغوي العربي القديم، اهتدى إلى قناعات ألسنية سبقت عصرها.[13]

وجاء الكتاب في قسمين رئيسيين: ففي القسم الأول يدعو الباحث إلى ضرورة استثمار منهج اللسانيات في مجال تعليم اللغات، واللغة الأجنبية، والأخذ بمبادئ وتوجيهات النظرية التوليدية التحويلية، التي أخذت القسط الوافر من الدراسة، ثم انتقل إلى الحديث عن السياق والأسس المعرفية، التي يجب أن يعتمدها معلم اللغة من تخطيط، وتحضير الأنشطة التعليمية، وتوفير الوسائل البيداغوجية، حتى يؤدي الأستاذ مهمته التعليمية على أكمل وجه، حيث شكلت المحاور الآتية مفاصل هذا القسم وتتجلى فيما يلي:

- إلمام و مدرسي اللغة باللسانيات، وما تعرضه من مقولات.
- مدى فعالية اللسانيات في مساعدة الأستاذ في تعليم اللغات.
- اكتساب اللغة عند الطفل.
- تداخل بين اللغة الأم والثانية.
- تعليم اللغة الثانية .

كما ركز على أهمية الربط بين الجزء النظري والتطبيقي أثناء استخدام التمارين اللغوية. وفي هذه المحاولة الجادة يضع القارئ العربي في محور الدرس اللساني الحديث، من أجل أن يعيه ويوظفه في حياته.

ويقترح في ألخير ربط اللسانيات بالتعليمية، ليطلع المعلم على مبادئها وإجراءاتها، ليكون قادرا على استثمارها في الميدان مع متعلميه.

- دراسة صالح بلعيد في كتابه دروس في اللسانيات التطبيقية.

تناول الدكتور جملة من المواضيع الهامة في مجال اللسانيات التطبيقية، شأنه شأن من سبقه من الدارسين. من خلال تركيزه على اللسانيات النظرية لينطلق منها إلى مجالات اللسانيات التطبيقية في محاولة تمايزية تكاملية.

واتسمت دراسته بالجانب الإجرائي في سابقة لتحديد نقاط التلاقي والاختلاق مع علوم أخرى تعتبر امتدادا لعلم اللغة التطبيقية، وهي: (علم النفس، وعلم الاجتماع، و الأرطفونيا، وعلم النفس المعرفي، واللغوي، ليتوصل إلى نتيجة وهي التلاقح الإيجابي (التأثير والتأثر).

وما يحسب للباحث كفاءته العلمية وقدرته على المزج بين (التنظير والإجراء). أما في حديثه عن المناهج التعليمية وكيفية استعمالها، فقد تطرق إلى المعايير، التي يجب أن تعتمد في بنائها، ونبه كذلك إلى عدم جدوى الطرائق التعليمية الروتينية الميكانيكية، حيث حث المعلمين على ضرورة اطلاعهم على الدراسات اللسانية النظرية والتطبيقية، واستثمار معطياتها في أنشطة التمارين اللغوية، نظرا لأهميتهما في الاكتساب اللغوي.

كما ناقش قضايا ترتبط باللسانيات التطبيقية، لا تقل أهمية على استراتيجيات تعلم اللغة الأم (الأصلية).[9] وعلاقتها الوطيدة بتعلم اللغات الأجنبية، وهذه القضية صارت تمثل إشكالا في حد ذاته، لمعاناة الأوطان العربية من إزدواجية اللغة والتعدد اللهجي. بالإضافة إلى قضية التداخل اللغوي، التي لم ينساها وتعرض إليها بإسهاب من خلال ثنائيتي(الأصل والدخيل).

وجره الحديث إلى قضية ثالثة والمتمثلة في الأخطاء الشائعة في التداول اليومي عند(المختصين، وغير المختصين)، وما يصاحبها من اضطرابات اللغة والكلام، من مثل: (القلب العقلة، التمتمة، الهدهدة، الحبسة). ووصل أخيرا إلى الحديث عن دور كل من الإعلان والإشهار وتأثيرهما على عملية الاكتساب اللغوي.[14]

كتاب دروس في اللسانيات التطبيقية جاء ليسد فراغا رهيبا في ميدان اللسانيات التطبيقية، وقد رصد من خلاله الباحث جملة من النقاط، منها بالسواد الأعظم من الباحثين الذين انصرفوا إلى مجال تعليمة اللغات، نظرا لحاجة الأمة إلى وضع حلول مستعجلة لكثير من القضايا التعليمية. وخاصة في الجزائر التي تفتقد إلى مثل هذه الجهود التطبيقية.

- عبد الجليل مرتاض: كتاب اللغة والتواصل .

طرق البحث فيه باب وظيفه اللغة الأساسية في ضوء اللسانيات الحديثة في قالب لغوي دقيق، فرق فيه الباحث بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة،[15] وبين العلاقة الوطيدة التي تربط الكلام باللسان. فإذا كان " الكلام نوعا من السلوك الفردي، يتجلى عن طريق كل ما يصدر عن الفرد من أقوال ملفوظة أو مكتوبة، فإن اللسان يدل على النظام العام للغة، ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر، وهو بكل بساطة لسان أيَّ قوم من الأقوام".[16]

أما مفهوم التواصل في بعده الإنساني، فهو يرتبط بالتخاطب بين شخصين فأكثر ؛ بمعنى أن التواصل يقتصر على الممارسة الفعلية الاجتماعية للغة، والتي تتمثل في نقل الفائدة الإخبارية إلى المتلقي.[17]

أمَّا كتاب مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث، تناول فيه مباحث متداخلة عن النظريات اللسانية الغربية، حيث قسمه الباحث قسمين رئيسيين، وسم القسم الأول بدراسات سانتيكية للعربية القديمة، وقسمه أيضا إلى ثلاثة فصول، جاء الفصل الأول تحت عنوان: شفوية السانتيكة العربية القديمة، أما الفصل الثاني فعنونه بـ: بين السانتيك التقليدي والمعاصر، وفي الفصل الثالث تناول قضية السانتيك العربي القديم.

أما الباب الثاني فعنونه بـ: وجهات نظر في الاكتساب اللغوي، وقسمه أيضا إلى ثلاثة فصول، وأتى الفصل الأول تحت مسمى: طرائق ومراحل الاكتساب اللغوي، والفصل الثاني حمل اسم: الاكتساب اللغوي عند الفرد العربي و النظريات اللسانية، بينما الفصل الثالث والأخير فوسمه بـ: تنظيرات لسانية للغة الإنسانية.[18]

وقد أكد الباحث بشدة على ضرورة العودة إلى التراث، وتجلى جليا في كتابيه السابقين، لأن " البذور و الجذور التي أسّسها أولئك الفطاحل الأقدمين، تنمّ عن بنيات صحيحة و مناهج سليمة لا يشوبها وهن و لا خطل".[19]

إنّ لغتنا على ما يحيط بها من أوهام ميتافيزيقية، ونظريات بعضها خرافي، وأخر جزافي أكثر مما هو حقيقة علمية ملموسة أو محتملة، ليست بالمعجزة العلمية، التي تبهر الإنسان في معرفة ما نطق به من أول صيحة إلى آخر نفس، لكنها ستظل معرفة فكرية، ما دامت النظريات اللغوية تتباين أكثر مما تتقارب، وتتوازى أزيد مما تتقاطع حسب الذات العقلية الإنسانية وتصورها.[20]

المتتبع للدراسات اللسانية التطبيقية العربية، يلحظ من دون شك الكم الهائل من الدراسات والمؤلفات اللغوية، سواء في المشرق العربي أو المغرب العربي، وحتى لا يفرز عند الفحص المنهجي إلا حالات قليلة جدا ، وتزداد الدراسات اللغوية العربية يوما بعد يوم ، لكن دون فائدة تذكر، " فالنوعية ما يزال تطورها محدودا ، ويكاد المرء يقول: أنه ينعدم أيُّ تطور ملموس، يمكن أن نشتم منه رائحة الجدة العلمية، أو حتى أن نلمس فيه أن يكون تيارا أو حركة جديدة، أو معلما رائدا في حقل الدراسات اللغوية الحديثة.

البحث اللساني النظري والتطبيقي في عمومه، يتميز بالطابع التراثي في معظم الأحيان، أو يستعمل أدوات لسانية قديمة نسبيا، لأن أكثر الدراسات تساق فيها المعارف والآراء دون غربلة أو تمحيص، حتى ومن يطالعها يحس وكأنها فقدت عنصر التجديد، فيقف الباحث محاولا أن يجد فيها المعلومات القيمة، فيعرض عنها لأنها مملوءة بالتعليلات المرهقة والألغاز والتمويه . ويقول أيضا منذر عياشي: نقف عند ثلاث حركات تسير معا في الآن نفسه وهما:

- الحركة الأولى: تتشبث بالتراث وتدافع عنه كأنه مقدس.

- الحركة الثانية: وتعنى بترجمة ونقل المؤلفات الغربية إلى العربية، وتبني ما ورد فيها حرفيا. ويحاول أصحابها، زرع هذه المفاهيم المستوردة في حقل الذهنية العربية. فقد أدت هذه الحركة إلى (تغريب) في الحياة العقلية، لبعض البحاث العرب وبعض المثقفين، فنتج عن ذلك انفصال بين ذهنية هؤلاء والمجتمع الذي يعيشون فيه، ثم تطور الأمر إلى ميلاد شيئين خطيرين:

- المسخ: ونقصد الشخص الثقافي المتحول إلى شيء لا شكل له ولا هوية ولا انتماء.

- التبعية، وقد بدأت هذه الظاهرة عند من رأى في ثقافة الغرب شخصية جديدة له، فتقمصها وبدأ يعمل على أساسها، ومن بين" المغالطات التي لا تمت بصلة للبحث اللساني العلم يعلى حد سواء، هيمنة نحو اللغة الإنجليزية والفرنسية على التحليل اللساني العربي، مما أدى إلى استنتاجات في غير محلها، كالقول مثلا بأن تطبيق النظريات المعاصرة على اللغة العربية، ليس أكثر من إسقاط نحو الإنجليزية على نحو العربية، فالنظرية التوليدية لم تطبق بعد على اللغة العربية، بشكل مستقل عن نظام اللغة الإنجليزية، ... فجاءت تحليلاتهم أنجلو عربية تبتعد عن روح النظام اللغوي، ولا تشير إلا إلى ماله مرادف في الإنجليزية.[21]

- الحركة الثالثة: تحاول أن توفق بين التراث والنظريات اللسانية الغربية، ولهذه المواقف الفكرية آثار واضحة على اللسانيات النظرية والتطبيقية على حد سواء. على مستوى طبيعة الموضوعات المتناولة بالدراسة، و على مستوى المناهج المتبعة.

بالإضافة لارتباطها بتعليم اللغة و اللغات الأجنبية. وتركز في مجملها على مجال التعليم، واصطبغت بالصبغة التربوية، لأن جل القائمين عليها هم من رجال التربية والمناهج، دون تأثر يذكر بما يجري في اللسانيات النظرية والتطبيقية في العالم، وهذا ينطبق كلك على دراسات تحليل الأخطاء اللغوية، التي غالبا ما تتم في كليات علم النفس والتربية.[22]

بينما الدراسات الخاصة بالثنائية اللغوية و الازدواج اللهجي أو اللغوي ، فهذه غالبا ما تتميز بالعاطفة.

- يبدو أن مرجع ضياع الجهود اللسانية التطبيقية إلى حد ما يعود إلى أنها كانت جهودا فردية من افراد معدودين ، ولم تكن جهودا جماعية لفرق عليمة أو مؤسساتية.

- عدم التنسيق بين الدارسين ومؤسساتهم التي يعملون بها.

- اعتماد ثلة من العلماء على الترجمة دون التأليف في اللسانيات التطبيقية، لأن اللسانيات علم نامي ومتطور ومتشعب في الرؤى والمناهج.

- الانبهار باللسانين الغربيين حتى وصل درجة التقديس.

- مشكلة التواصل بين القطرين العربيين المشرق والمغرب، أدت إلى بروز أزمة المصطلح .

- الصراع بين اللسانيين حتى في الجامعة نفسها ، إذا كان الواحد منهم قد تخرج من جامعة تختلف منجزاتها عن جامعة أخرى، وقد تصل الأمور إلى شخصنة اللسانيات في بمقولة أنا اللسانيات ولا غيري.

" يحار المدقق في أي بحث أو كتاب لأي لساني في العالم العربي من ظاهرة إغفال ألآخر، فنجد نسقا غريبا بين اللساني ومراجعه العلمية".[23]

وبالنظر إلى المسار التاريخي، يمكن تحديد مشكلة الدراسات اللسانية التطبيقية، أنها تكمن في صعوبة ضبطها وحصرها .

- لاستحالة القيام بتصنيف تام لانعدام جرد شامل لكل ما كتب ومقالات.

- عدم استقرار الكتابات اللسانية التطبيقية على نهج واحد، فقد الباحث يتبنى قضية لسانية نظرية ، ثم يلجأ إلى التراث لتأصيلها، فيضحى موقفه تقليديا يجتر فيه أراء الأقدمين.[24]

وتشكل اللغة الواصفة والموصفة في الآن ذاته فهي " تمزج بين معطيات تنتمي إلى عربيات متباينة؛ عربية كلاسيكية وأخرى حديثة، وظلت تراوح دائرة المعطيات المكرورة والمتداولة، ولم تستطع النفاذ إلى معطيات جديدة في التركيب أو المعجم أو الدلالة، في لسانيات المتون".[25]

وبالتالي أضعنا فرصة اكتشاف تحولات النسق اللغوي العربي، وحصرنا تمثلاتنا عن اللغة العربية في لغة منسجمة أو منشطرة إلى نوعين أو ثلاثة في أحسن الأحوال؛ لغة عربية كلاسيكية وأخرى حديثة ولغة وسطى، دون أن يكون هذا التقسيم مدعوما بدراسات سوسيو لسانية مدققة، وبمسح تقني مضبوط لمتون تداول هذه اللغات من إعلام وصحافة وكتابات علمية أو أدبية، كما أضعنا فرصة تطوير لسانيات الظواهر باكتشاف معطيات للوصف جديدة.

فالظواهر الموصوفة في التركيب أو الصرف أو المعجم أو الدلالة باتت مكرورة في مجموعة من الأعمال اللسانية قد تتجدد آلة وصفها، لكن المعطيات الموصوفة تظل هي نفسها. وعندما يتم الالتفات إلى ظاهرة قد تبدو جديدة، فإن ذلك يحدث بإيعاز من سلطة النموذج اللساني الذي يتبناه الباحث، والذي يعالج ظواهر مماثلة في لغات أخرى يبحث لها اللساني العربي عن نظيرها في العربية.[26]

إن تغييب هذه الجوانب يؤدي إلى عدم إدراك الأبعاد المختلفة لممارسة العلم. فالعلم له وجه فلسفي ووجه تقني؛ ويظهر وجهه التقني داخل المعرفة اللسانية في إطار النماذج الصورية التي تبنيها اللسانيات، وتطورها بتعديلها وتكييفها مع أنظمة اللغة الطبيعية أو مع أنظمة الحواسيب. فهذا البعد يقرب العلم من مجالات تسعى في استثمار المعرفة استثمارا تطبيقيا ملموسا.[27]

ونافلة القول من معوقات النهضة العلمية اللغوية في الثقافة العربية المعاصرة، هو شيوع بعض المقولات، التي لا تستند إلى حقائق، وذلك مثل أن النظريات اللسانية النظرية والتطبيقية المعاصرة لا يصلح تطبيقها على اللغة العربية، لأن هذه النظريات قامت على لغات غربية.

وأن الدراسة في اللسانية المعاصرة قصدها فيما يتعلق باللغة العربية تقعيد اللهجات وإحلالها محل اللغة الفصحى، ولذلك فإنه لا يسع المتخصص في اللسانيات التطبيقية في هذا العصر أن يتجاهل التقدم الذي ينجز في اللسانيات، كما أنه لا غنى له عن الاطلاع على ما يكتب باللغات الأخرى عن الدراسات التطبيقية العربية. وبدلاً من القطيعة بينه وبين المتخصصين في هذه المجالات، ينبغي عليه أن يسعى إلى الاطلاع المستجدات ويكيفها مع ما يتوافق واللغة العربية.

الهوامش

[1] - عبد الراجحي علم اللغة التطبيقية وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، ص 12

[2] - محمد فتيح: في علم اللغة التطبيقي دار الفكر العربي، القاهرة، 1989: ص 19

[3] - نفسه، ص 18

[4] - ينظر، دوغلاس براون: أسس تعلم اللغة وتعليمها، تر، عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1994، 174/173

[5] - ينظر، صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط7، 2012، ص 13

[6] - علم اللغة التطبيقي، وتعليم العربية، ص12

[7]- Charles A. Ferguson, " Come forth with a Surah Like it: Arabic as a measure of Arab Society," in M. Eid , PP. 39 - 51

([8])M. Eid and J. Mc Carthy " Introduction", in M. Eid and J. McCarthy Perspectives on Arabic Linguistics. (Amsterdam II/ Philadelphia: John Benjamin's Publishing Co. 1990) PP. 211 -

[9] - علم اللغة التطبيقية وتعليم العربية، ص 05-25

[10] - عبده الراجحي : المقدمة.

[11] - أحمد مصطفى أبو الخير: علم اللغة التطبيقي، بحوث ودراسات، الاسكندرية ، مصر، 2006، ص 12- 62

[12] - نفسه، ص 247

[13] - ميشال زكريا : قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية، مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين،بيروت، 1993. المقدمة.

[14] - دروس في اللسانيات التطبيقية، ص34-39

[15] - اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي ، الدكتور عبد الجليل مرتاض ، دار هومة، الجزائر.

[16] - عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3 ، 1980، ص : 29

[17] - عبد الجليل مرتاض: اللغة العربية والاتصال ، ص : 15

[18] - عبد الجليل مرتاض: مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث، منشورات تالة، الجزائر، 2003.

[19] - بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، مؤسّسة الأشرف للتجارة و الطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط 01، 1988، ص 05.

[20] - مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث، ص 137

[21] - محمد الحناش: النحو التوليفي، مدخل نظري، مجلة دراسات أدبية، ولسانية ، ع1، 1975

[22] - ينظر، مصطفى غلفان: اللسانيات العربية وأسئلة المهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013، ص 49

[23] - ينظر، أسئلة اللسانيات، ص 320

[24] - ينظر، اللسانيات العربية وأسئلة المنهج، ص 56

[25] - الفاسي الفهري، ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب، ندوة اللغة العربية والنظريات اللسانية، كلية الآداب-فاس سايس، 2007،

[26] - نفسه،2007

[27] - نفسه، 2007